

عبادة الملائكة من دون الله

الحاصل: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمي أولئك المشركين كلهم مشركين، لأنهم يعبدون معبودات متفرقة، ولم يستثن الذين يعبدون الملائكة، فذكر الله تعالى أنهم يعبدون الملائكة، فقال تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ } يعني: هؤلاء كانوا يعبدونكم؟ فبشر الملائكة منهم ومن عبادتهم، وقالوا: { قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } أي بمعنى: أن الشياطين هي التي أعتهم، وهي التي أوقعتهم بما عبدوا من دون الله. ولهذا ذكر ابن القيم في الجواب الكافي: أن كل من عبد غير الله فإن عبادته تقع للشياطين، ما عبد من عبد غير الله سوى الشيطان. واستدلوا أيضا بأنه لما نزل قول الله تعالى: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } قال المشركون: نحن نعبد الملائكة، ونعبد الصالحين، واليهود يعبدون العزيز والنصاري يعبدون عيسى أهؤلاء يا محمد كلهم من حصب جهنم؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: { إنهم إنما يعبدون حقيقة الشيطان } والشيطان هو الذي سول لهم، وأملى لهم. الشيطان هو الذي دعاهم، إلى أن وقعوا فيما وقعوا فيه من هذه الشركيات، فلذلك يكونون عبادا للشيطان، والشياطين تعذب معهم، يشاهدون الشيطان، ويشاهدون إبليس وذريته معهم. كما حكى الله تعالى في حُطْبَةِ الشَّيْطَانِ بقوله: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } إلى آخر الآية. فدل على أن الشياطين تقترن بهم، فيكون ذلك معنى: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } لا أن الملائكة يُعَدَّبُونَ معهم، ولا أن الصالحين والأنبياء الذين أصلحوا أعمالهم لله لا أنهم يعذبون، وإنما العذاب لهؤلاء المشركين، ولمن أصلحهم من الشياطين. قال الله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الدِّينَ أَضْلًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ } . قيل: من الجن: الشيطان إبليس، ومن الإنس: شياطين الإنس. وقيل: أول من دعا إلى الشرك وأضل به المشركين، إنهم يقولون ربنا أربنا الذين أضلنا من الجن والإنس. ومع ذلك فإنهم لا يخفف ذلك عنهم من العذاب، كما قال تعالى: { وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَئِذٍ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } يعني: كونهم يشتركون مع من أضلوهم، لا يخفف ذلك من عذابهم. وقد ذكر الله تعالى أن المشركين يحتجون بأن الذين أضلوهم هم الآباء والأسلاف والأجداد والسادة والأكابر، كما في قولهم: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا بِسَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَاصْلُوا سَبِيلَ رَبَّنَا أَنَّهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } ومثلها أيضا قول الله تعالى: { قَالَتْ أحرَاهُمْ لِأولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّوا قَائِلِينَ أَنَّهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ } ومثلها قول الله تعالى: { وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ } إلى قوله: { قَائِلِينَ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } . فالحاصل أن المشركين الأولين ما نفعتهم عبادتهم للملائكة، ولا عبادتهم للسادة والأولياء والصالحين والأنبياء ونحوهم، ولكنها أضرتهم وأصبحوا بذلك مشركين. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين النصارى وبين المشركين القبوريين، أو المشركين الوثنيين وسمى الجميع مشركين.